

## الشبكات الاجتماعية وصناعة الرأي العام

2017-01-01 علي حسين عبيد

لم يكن يخطر في بال أحد، لاسيما العاملون في السياسة، من القادة ومعاونيهم، أن يأتي يوم ليكون المخفي من الأحداث والأخبار بكل أنواعها وأشكالها تحت مجهر الرأي العام وفي متناول أعين وأسماع الجميع بلا استثناء، وذلك عبر وسائل إعلامية مستحدثة، أطلق عليها تسمية (مواقع التواصل الاجتماعي الإلكترونية)، ومثال عليها، مواقع الفيس بوك وتويتر ويوتيوب، ثم التحقت بها مواقع أخرى.. لتنضم الى وسائل الإعلام المعروفة، وإن لم تكن ذات مهنية مقصودة، كما هو الحال مع وسائل إعلامية أقدم منها، كالصحافة، والتلفاز، والإذاعة وسواها، لكنها والحق يُقال بسبب فاعليتها وحضورها الآني ودرجة التفاعل التي تتيحها للمستخدمين، باتت أكثر تأثيرا من الوسائل الأخرى في التأثير بالرأي العام.

في البداية لابد أن نقدم أو نخوض في الأدلة التي تثبت بأن وسائل التواصل، أو ما أطلق عليها بالعالم الافتراضي، ذات تأثير فعال ومباشر في توجيه الرأي ومسارته واتجاهاته، فهل هناك ما يثبت أنها باتت تمتلك تأثيرا من هذا النوع بصورة فعلية؟ وما هي الشواهد التي تثبت هذا التأثير وهذه الفاعلية؟.

ولنعد الآن الى سنوات مضت لكنها ليست بعيدة عن الذاكرة، ونعني بها تلك السنوات التي احتضنت ما يسمى (بالربيع العربي)، وما أحدثته من هزات سياسية هائلة قلبت أوضاع المنطقة العربية والشرق الأوسط، وأزاحت بفعل الاحتجاجات أنظمة قوية مستقرة قابضة على السلطة بقبضة من حديد، وما كان باستطاعة إسقاط عروشها، لو لا توجيه الرأي العام والجمهير عبر مواقع التواصل وخاصة الفيس بوك، حيث تم استخدام هذه الوسائل، لإعداد الانتفاضات والاحتجاجات وتوقيت انطلاق المظاهرات وأماكنها وأهدافها وكل ما يتعلق بالشؤون التنظيمية عبر موقع الفيس بوك والوسائل الافتراضية الأخرى.

إن استثمار هذه الوسائل الإعلامية الحديثة، والتي تمتلك خاصية التفاعل الآني، بالصورة الصحيحة،

جعلها قآارة على آألب الرأى العام على الحكومآة العسكرىة؁ (بغض النظر عن الجهات التى خططت ونفذت وبعىدا عن الأهداف الخفىة لهذآ المخططآة)؁ فموضوعنا الآن ىنحصر فى قدارة هذآ المواقع الإلكترونىة على الآأىر فى الرأى العام؁ وآوآىهه فى مسار معىن؁ وعنءما نقارن بىن وسائل الإعلام القدىمة أو المعروفة سابقا كالأصحف والآلفاز؁ وبىن وسائل الآواصل الاجآماعى؁ فإننا حآما سوف نكآشف الفارق الكبىر بىنهما من حىث سرعة الآأىر فى الرأى العام وآوآىهه.

## هل آشكل هذا الموقع وسائل ضاغطة

من المهم أن ىعترف المهآمون والمعنىون؁ قبلوا بذلك أم أبوا؁ وخاصة أولئك العاملون فى المىدان السىاسى؁ بالآأىر الكبىر الذى أآدآته وسائل الآواصل الاجآماعى على الواقع المعاش؁ ومدى آأىرها فى الواقع الجماهىرى؁ وقدرتها على آحرىك الآىارات الجماهىرىة فى هذا الآآجاه أو ذاك؁ ففى العراق مثلا شكلت هذآ الوسائل الإلكترونىة الحدىثة حالات ضغط آآواصل على السىاسىىن؁ وجعلآهم ىحسبون ألف حساب لأىة خطوة ىقدمون عىلها لا آصب فى صالح الشعب أو آعمل بالضء من مصالآهم المآآلفة.

فمثلا كما لآحظنا ذلك عبر السنوات الماضىة العشرآة من صفقات الفساد تم فضآها على صفحات شبكات الآواصل الاجآماعى؁ وكآىر منها تم إىقافه أو آجمىده؁ بسبب فضآ هذآ الصفقات الوهمىة أو الفاسءة فى هذآ المواقع؁ كذلك هنالك عءء من الشآصىآة السىاسىة الآابعة لبعض الأحزاب أو الكآل السىاسىة؁ تم آحىىدها وإخراجها بعىدا عن العمل فى الساحة السىاسىة؁ وذلك بعء أن امآلآت صفحات الفىس بوك والمواقع الأآرى بالقضآا المسىئة للشعب؁ والآى تم آآمىل مسؤولىآها لآلك الشآصىآة؁ لاسىما ما ىآعلق بآقوىض المال العام والآآاوز عىله أو إهءاره بطرىقة أو آآرى.

فى مجال الآءمآة؁ كان لهذآ المواقع التى باآآ آآآسب للإعلام الأكثر آأىرا؁ كانت هناك ضغوط قوىة على الوزارات والمؤسساء والدوائر الآءمىة؁ بآىث امآلآت هذآ المواقع بالأآبار الساآرة؁ والضاغطة؁ والرسوم بأنواعها لاسىما آلك التى آسمى بفن (الكارىكآىر)؁ بالإضافة الى أنواع (البوسآة) التى أآبرآ فى وقتها العءىء من المسؤولىن الى آعءىل مواقفهم بما ىصب فى صالح الشعب؁ ومع أن بعض المسؤولىن آعامل بأسلوب اللامبالاة مع ما ىُنشَر فى مواقع الآواصل؁ إلا أن

هذا النوع من المسؤولين فقد مستقبله، فالذاكرة الشعبية لا تنسى من يسيء لها مهما كانت أساليبه ومحاولاته في التقرب الى الناخبين.

وبذلك لا يستطيع أي من السياسيين وغيرهم، أن يحدد الدور الفاعل لهذه المواقع في بلورة وتوجيه الرأي العام، الأمر الذي جعل منها قوة ضاغطة في الاتجاه السليم، وعندما نقارن بين درجة التأثير التي تصنعها شبكات التواصل الاجتماعي في الرأي العام، وبين الوسائل القديمة كالصحف والتلفاز والإذاعة، فإننا حتما سوف نكتشف سرعة ودرجة التأثير بالنسبة لهذه المواقع، بالقياس الى ما يتحقق في هذا المضمار عبر الوسائل الإعلامية التقليدية، حيث التأثير الفعال والسريع في الرأي العام يتم بوساطة مواقع التواصل، ولا تلغي دور وسائل الإعلام الأخرى، لكن لابد أن نوضح الفرق بينهما من السرعة ودرجة التأثير وما شابه.

## كيف نوظف مواقع التواصل إعلاميا؟

من الأمور التي باتت واضحة للجميع، أن العوالم الافتراضية، أو ما يُطلق عليها بشبكات التواصل الاجتماعي، هيمنت على العالم أجمع، وباتت جميع الدول والكيانات السياسية المستقلة أو سواها، تحت السلطة الرابعة (الإعلامية) لهذه المواقع، فنادرا ما تجد دولة أو مدينة أو حتى قرية لم تصل إليها الشبكة الاخطبوطية (الإنترنت) وبالتالي وقوعها ضمن تأثير شبكات التواصل الاجتماعي بأنواعها.

ومهما كان نوع النظام السياسي في هذا البلد أو ذاك، فإن هذه المواقع باتت تسلط الضوء على خفايا السياسيين والفظائع التي يرتكبها بعض المسؤولين الفاسدين، ما يجعلهم في قبضة العدالة الشعبية أو حتى القضائية، حتى لو كان الفساد يهيمن على مجريات الأمور، لذلك من الخطوات المهمة التي ينبغي أن تتشبت بها المنظمات الضاغطة في مواجهة الحكومات الفاسدة، هي استثمار هذه الفاعلية الإعلامية القوية والمباشرة، ووضع المؤسسات والدوائر الرسمية الحكومية تحت القوة الإعلامية المؤثرة لهذه المواقع.

وكما ذكرنا سابقا، أن المسؤول أو السياسي الذي يتجاهل مطالب الشعب، ويغض الطرف عن

المساوي التي يرتكبها هو أو من يتبعه من المسؤولين، فإن مصيره المؤكد هو (خسارة) مستقبله السياسي بصورة حتمية، وكما هو معروف، فإن الإنسان بطبعه الحرص على عمله ونجاحه في هذا المضمار، فإذا أهمل الرأي العام الذي تصنعه شبكات التواصل بقوة وسرعة، فإنه بذلك يجازف بمستقبله، ومن باب أولى بنجاحه السياسي، فيغامر بخسارة أكيدة لمستقبله، لأن الناس بطبعها لا تحب من يفضل نفسه وحزبه وعائلته عليها.

وعندما يتم تحييد وإفشال مسعى وفساد هذا المسؤول أو ذاك، فهذا يعني أن الرأي العام استلم الأدلة والمؤشرات الدقيقة التي تثبت تورط هذا المسؤول أو ذاك بالفساد وما شابه، وهذا يعني طرده من ساحة العمل السياسي، وبالتالي خسارته الفادحة لمستقبله السياسي، ما يعني وجود التأثير الفاعل لهذه الشبكات الاجتماعية وتأثيرها الكبير في توجيه الرأي العام، لاسيما إذا تم التعامل معها بعلمية وذكاء واستثمار سليم.